من اجل البقاء · وهكذا نستطيع ان نرى كيف تدعم العرقية بعضها البعض ، رغم الخصومة القائمة في الظاهر · فليس هناك عرق نقي يقابل العرق الاري سوى اليهود ، لكنهم في رأيه غير المؤهلين للفكر الرفيع والثقافة ، وهو ما ينقلنا مباشرة الى المقابلة الطريفة · فالصهاينة العنصريون يعتقدون بالمثل وفي المقابل ان الجنس العربي والشعوب العربية غير مؤهلة للثقافة الحديثة والعلوم وليس في مقدورها امتلاك التكنولوجيا المتطورة : واليهود في رأيه يمتلكون ارادة حديدية من اجل السيطرة والقوة ، ولكنهم يفتقدون كل عمق ميتافيزيقي · اما الحرب العنصرية عند تشامبرلين فهي حرب شاملة لا يمكن ان تنتهي الا بالفناء او النصر ، والاريون يحتاجون الى قائد من اجل تحقيق الانتصار على اليهود · وحول نهاية حياته اعتقد انه وجد هذا القائد الفذ في شخصية ادولف هتلر (١٧) · والواقع ان عبقرية هتلر لا تخرج من كونها تشامبرلين صيغ في قالب يلائم الجماهير كما يقول هرتز (١٨) ·

وتأكيد تشامبرلين على العوامل الثقافية والروحية يهتدي بتراث الرومانسية، وينقلها من ميدان العلم الى ميدان الاسطورة على دأب الرومنسيين الرجعيين · فقد كان يرى ان كل ثقافة ، وكل ما هو ثقافي ، يقوم على روحانية حقيقة ، وهي سمة آرية في مقابل ما هو يهودي والمسيح نفسه اصبح نبيا آريا · وبذلك اصبحت الحرب بين الاجناس هي حرب الروحية ضد المادية · ولا فرق بين هذا الفكر وما يعتنقه العنصريون الصهيونيون من ان حربهم ضد العرب هي حرب التقدم ضد التخلف ، والسمو الخلقي ضد الهمجية العربية ، او ما يعتقده العرقيون العرب ايضا ويردده كميل شمعون والجميل وغيره من الانعزاليين العرقيين من ان كفاحهم ضد الفلسطينية والتقدمية هو دفاع عن قيم الغرب الروحية ضد المادية · وكان العنصريون الاوروبيون يتهمون اليهود بانهم يستخدمون الماركسية المادية وحرب الطبقات لتدمير بناء الامة · وتحولت العنصرية اكثر فأكثر في وسط وشرق اوروبا الى دين غيبي جديد ·

وانه ليبدو ان الثورة الصناعية التي هجمت فجأة على المانيا ، نتيجة تطورها السريع في اخريات القرن ، افسحت المجال لمثل هذا الفكر العرقي الذي يحقق استقرارا وانسجاما قوميا موهوما ، في مقابل الصراع الاجتماعي المتعاظم والذي بدأ وكأنه يهدد الامة بالدمار ·

ولكن لا يصعب الكشف عن الجذور البعيدة للعرقية الالمانية ، والدور البارز الذي لعبته تيارات الفكر العنصري والسلفي المتأصلة في التقاليد العريقة لطبقات المحاربين واليونكرز · فقد ظلت هذه الطبقات في اجزاء كبيرة من المانيا لها السيطرة والغلبة ، نتيجة ضعف البورجوازية الالمانية ، وتخلف نموها ، كما ظلت تقاليدها وتراثاتها العرقية تمثل الفكر السائد · وقد جعل فردريك الثاني